

البعد الحجائي في القرآن الكريم سورة إبراهيم أمثودجا.

The argumentation Dimensions in the Holy Quran: Surah Ibrahim as a Model

خليفة عيسات *

Khalifa Aissat

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 (الجزائر)

Abou El Kacem Saadallah University Algeria 2 (Algeria)

aissatkhalifa81@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/03/02

تاريخ القبول: 2024/12/11

تاريخ الإرسال: 2024/09/15

مُلَخَّصٌ لِّلْبَحْثِ

إن القرآن الكريم كتاب موجه لكافة البشر- من أجل إصلاحهم وهدايتهم، فيصلح الكفار بدعوتهم إلى الإيمان، ويصلح المؤمنين بتقويم سلوكهم وتنشيتهم على الهداية، وقد تميّز بأسلوب الحجاج الذي يعتمد العقل والبرهان والحجة، لأنه خطاب حجائي موجه أساسا للتأثير في المتلقي واستمالته لذلك وظف العديد من الأساليب البلاغية والآليات اللغوية لتحقيق هذه الغاية. والخطاب القرآني في سورة إبراهيم يزخر باللغة الحجاجية لأنه جاء ردا على خطابات العقائد الفاسدة وتنشيت عقيدة التوحيد، ويهدف هذا البحث إلى دراسة البعد الحجائي في سورة إبراهيم من خلال دراسة الأساليب البلاغية والآليات اللغوية وتحليلها تداوليا للوقوف على البعد الحجائي الذي تؤديه في السورة، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق والمقام التخاطبي التي وردت فيه.

الكلمات المفتاح: حجاج؛ بعد حجائي؛ إقناع؛ خطاب قرآني؛ سورة إبراهيم.

Abstract:

The Holy Qur'an is a book intended for all humanity, aimed at their reform and guidance. It seeks to reform non-believers by inviting them to faith, while it aims to correct the behavior of believers and strengthen them in their adherence to guidance. The Qur'an is characterized by its argumentative style, which relies on reason, evidence, and logical reasoning, as it is primarily a

* خليفة عيسات: aissatkhalifa81@gmail.com

rhetoical discourse designed to influence the audience and win them over. To achieve this goal, it employs various rhetorical techniques and linguistic mechanisms. The discourse in Surah Ibrahim is rich in argumentative language, as it responds to corrupt ideological narratives and reinforces the doctrine of monotheism. This research aims to examine the argumentative dimension in Surah Ibrahim by analyzing its rhetorical techniques and linguistic mechanisms, as well as their pragmatic implications, in order to understand the argumentative role they play within the Surah. This analysis will take into account the context and communicative setting in which these elements are presented.

Keywords: Argumentation; Argumentation dimension; Persuasion; Quranic Discourse; Surah Ibrahim.



1- مقدمة:

يعد القرآن الكريم كتاب الله تعالى معجزة خالدة، وحة بالغة جاء بأسلوب محكم رصين، يتسم بثراء المعاني وتجدها، تتجلى فيه الحقائق ونور الإيمان، وتدحض فيه الشبهات وظلمات الكفر، من خلال دعوة الكفار إلى الإيمان، وإرشاد المؤمنين إلى طريق الهداية والصلاح، والقرآن الكريم حافل بالحجاج ويولي أهمية بالغة للمحاجة للرد على المخالفين، لأن الحجاج هو الطريق الأمثل والوحيد للإقناع والتأثير في المتلقين، ويتخذ القرآن الكريم جملة من الآليات والإستراتيجيات الحجاجية المتنوعة لمواجهة المتلقي والتأثير فيه من أجل إقناعه، لأن القرآن الكريم رسالة كونية للبشرية جمعاء، وقد تعدد متلقوه، فمنهم المتلقي داخل النص القرآني وهو خطاب الله للأنبياء والناس، وخطاب الأنبياء لأقوامهم، ومنهم المتلقي خارج النص القرآني وهو المتلقي في كل زمان ومكان. وسورة إبراهيم من السور القرآنية التي تتكلم على نعمة الإيمان بالله ونموذجهم في ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، ونعمة الكفر ونموذجهم هم الكافرون بنعم الله وتبين السورة بأن أعظم نعمة هي نعمة الإيمان بالله، وأن أسوء نعمة هي نعمة الكفر بالله، لذلك قارنت بين أهل الحق والإيمان، وبين أهل الظلم والكفر، وبينت أن نعمة الإيمان تخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما أوضحت أن توحيد الله هو المقصد الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، وقد سلكت السورة منهجا في عرض مضامينها ومقاصدها المبنية على الحجاج، لأنه وسيلة

للدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وقد تعددت أشكاله وأساليبه، فقد تضمنت السورة أسمى أساليب البلاغة الحجاجية، والحجج العقلية، والآليات اللغوية، التي تناسب مختلف طبقات المتلقين لإقناعهم بالإيمان بالله وتوحيده.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن البعد الحجاجي في سورة إبراهيم وهي سورة مكية محورها العام هو التوحيد وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وقد زخرت السورة بآليات حجاجية متعددة ومتنوعة فمنها الآليات البلاغية مثل التشبيه، والاستعارة والكناية والاستفهام والتذييل التي كانت له قوة تأثيرية حجاجية ولها أثر كبير في التسليم والإذعان لإقناع المتلقي بتغيير معتقداته وسلوكياته، كما تضمنت العديد من الآليات اللغوية المتمثلة في الروابط والعوامل الحجاجية التي ساهمت في حجاجية النص من خلال توجيه الخطاب وحصر الإمكانيات الحجاجية وتقييدها. ويسعى هذا البحث للإجابة عن الإشكالية التالية: " هل للآليات البلاغية والآليات اللغوية أبعاد حجاجية؟ كيف تجلت هذه الأبعاد الحجاجية في سورة إبراهيم؟". وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الأبعاد الحجاجية في سورة إبراهيم وهو المناسب لهذه الدراسة للوقوف على مقاصد الخطاب في سورة إبراهيم.

2- مفهوم الحجاج:

أ- الحجاج البلاغي عند برلمان:

يعرف برلمان الحجاج انطلاقاً من موضوعه الذي هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان الاقتناع والتسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو الزيادة في درجة ذلك التسليم¹ وقد جعل برلمان الحجاج مطابقاً للبلاغة وقد وافقه في هذا الطرح العديد من البلاغيين المعاصرين، أما غاية الحجاج عند برلمان أن يجعل العقول تقتنع لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الاقتناع، والحجاج الناجع هو ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها عند المتلقين وجعلهم مستعدين لإنجاز ذلك العمل². فالحجاج البلاغي يعتمد على الأدوات والاستراتيجيات البلاغية لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

ب- الحجاج اللغوي عند ديكر وأنسكومبر:

يرى أصحاب هذه النظرية، أن اللغة وظيفة حجاجية من خلال بنية الأقوال اللغوية واشتغالها داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها³. فالحجاج اللغوي هو أن المتكلم إذ يحاج إنما يقدم قولاً (ق1) أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة من الأقوال الأخرى، وهذا الانتقال من (ق1) إلى (ق2) يعبر عنه الباحثان بفعل التوجيه الذي يقصد به الانزياح من وضع معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلوماً أو ضمنياً وهو النتيجة التي يروم المتكلم إذعان المتلقي بها⁴.

ج-الحجاج في القرآن الكريم:

والقرآن الكريم كونه خطابا حجاجيا موجها إلى متلق فعلي أو محتمل مَسْرَحٍ عليه تتحاور الذوات وتتجادل ويحاج بعضها بعضا، ولذلك تكثر فيه حكاية أقوال الكافرين والرد عليها (صيغة يقولون/قل)، كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على اختلاف أنواعهم، والقرآن الكريم كتاب إصلاح يرمي إلى تغيير وضع قائم، ويرمي إلى نبذ العنف وعلى هذا الأساس كان القرآن الكريم حجاجا⁵ فالحجاج في القرآن الكريم يعتمد على العديد من الأساليب والآليات، كالحجج العقلية وعرض بعض قصص الأنبياء والأمم السابقة ويستخدم الأساليب البلاغية والأدوات واللغوية لإقناع الناس وتوجيههم إلى طريق الإيمان وتوحيد الله.

3-الدراسة التطبيقية: الحجاج في سورة إبراهيم:

التعريف بسورة إبراهيم: سورة إبراهيم مكية، عدد آياتها اثنتان وخمسون آية، سميت بسورة إبراهيم لأنها تتضمن قصص إبراهيم وابنيه إسحاق وإسماعيل عليهم السلام غرضها العام هو التوحيد⁶ ذكر في السورة الغاية من تنزيل القرآن الكريم وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، واشتملت على إثبات أصول العقيدة، كما تضمنت الحديث عن إرسال الرسل، ودعاء إبراهيم ربه أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام وطلب المغفرة لوالديه وللمؤمنين، تسلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ببيان ما حدث للأنبياء والرسل السابقين مع أقوامهم، واختتمت السورة بالتأكيد على قيام الحجج على الناس لأن الرسل والأنبياء قاموا بمهمة تبليغ دين الله، فقامت الحجة على المشركين⁷ فمن مقاصد سورة إبراهيم أن أعظم نعمة هي نعمة التوحيد والإيمان بالله تعالى، وأعظم نعمة هي نعمة الكفر والشرك بالله، وبينت حقيقة دعوة الرسل والأنبياء من نوح عليه السلام إلى آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بأن دعوتهم واحدة وهي توحيد الله والإيمان به وهي أعظم نعمة في هذا الكون.

3-1-الحجاج البلاغي في سورة إبراهيم:

أ- الاستعارة:

ومن أمثلتها في سورة إبراهيم قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم:01] الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى، لأن الكفر يجعل صاحبه في حيرة كالظلمة، والإيمان يرشد صاحبه للحق فهو مثل النور لإيضاح السبيل⁸ الاستعارتان في الآية تصريحتان استعيرت الظلمات للكفر بجامع الحيرة والتخبط، واستعير النور للهداية بجامع الإرشاد وجمعت الظلمات دلالة على كثرة سبل الفساد والغواية، وأفرد النور إشارة إلى وحدة الحق والهداية.⁹ فالقرآن الكريم المنزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاب هداية، أنزله الله تعالى ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان، والطريق المستقيم بتوفيق من الله لأنه الهادي إلى إرسال الإيمان في قلوب

عباده. فقد وردت الحجة عن طريق الاستعارة وهذه الاستعارة تحمل قوة حجاجية أنجع وأقوى من الألفاظ على الحقيقة لأنها أشد وقعا على المتلقي والتأثير فيه. فالبعد الحجاجي في استعارة النور للإيمان، واستعارة الظلام للكفر هو أن هذه الألفاظ "النور" والظلام تحمل قوة حجاجية لأنه يصور الإيمان بالنور المضيء الذي ينير طريق المؤمن، أما الكفر فيصوره بالظلمات حتى تزيد قبحا في النفس كي تتضح الفوارق الجوهرية بين الكفر والإيمان، لتصوير وتقريب أمر مجرد بأمر محسوس ومادي لتقريب صورتها في ذهن المتلقي حتى يستطيع فهمه، وتساعد في توضيح مقاصد الخطاب بطريقة مؤثرة وقوية، لأن التصوير الحسي يرسخ في الأذهان.

ب- التشبيه التمثيلي:

"التشبيه هو عقد مماثلة بين شيئين أو أشياء لاشتراكهما في معنى ما، بأداة ملفوظة، أو ملحوظة، كالكلف و غيرها لغرض مقصود"¹⁰ ورد في سورة إبراهيم في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} [إبراهيم:18] وردت الحجة في الآية الكريمة عن طريق التشبيه التمثيلي فقد شبهت أعمالهم وما قدموه في الدنيا من أعمال عديدة برماد مكسد فإذا ما اشتدت وهبت الريح بالرماد تفرق وانشثر ومزقته تمزيقا لا يمكن اجتماعه، ووصف الله تعالى اليوم بالعاصف مجاز عقلي للمبالغة في وصف ذلك اليوم ومن لطائف هذا التمثيل أنه اختار له التشبيه بهيئة الرماد المجمع لأن الرماد له أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وهو إكram الضيف، وفي قوله (لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) بيان للمقصود من التشبيه وبأن الكافرين لا ينتفعون بشيء من أعمالهم يوم القيامة مما فعلوه من أعمال البر والخير في الدنيا¹¹ فالتشبيه التمثيلي في سورة إبراهيم جسد أعمال الكافرين بالرماد فأعمالهم الصالحة في الدنيا تكون يوم القيامة كالرماد المتجمع بعضه فوق بعض، ثم تشتد به الريح الشديدة فتفسده، وتنشره في كل اتجاه، وهذا الرماد المتطاير لن يستطيع أحد جمعه، ولا يظهر له أثرا، فكذلك أعمال الكافرين الصالحة في الدنيا تضيع منهم، ولا ينتفعوا بشيء منها في الآخرة، ويمحقها الله، كما تمحق الريح العاصفة الرماد منه، ولا ثمرة ترجى منها، لأن عملهم هذا مبني على أساس باطل وهو الشرك بالله، وتكمن القوة الحجاجية للتشبيه في تجسيد المعاني أكثر مشاهدة وحضورا وتقريبها للمتلقى فيكون لها وقع وتأثير على نفسية المتلقي، ولهذا كان للتشبيه بعد حجاجي إقناعي، لأنه من بين الأساليب التي تستعمل في الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر من خلال تشبيه أعمال الكافرين التي هي شيء معنوي، بالرماد وهو شيء مادي محسوس وصورة مستمدة من الطبيعة، لتكون المعاني والدلالات أكثر دقة ووضوحا وتأثيرا في المتلقي، والتشبيه في هذه الآية له بعد حجاجي وهو الإقناع والتأثير وتوجيه المتلقي ودفعه إلى الاقتناع بالإسلام والترغيب فيه والابتعاد عن الكفر والتحذير منه، عن طريق تجسيم أعمال الباطل والكفر بالرماد المتطاير في يوم عاصف لمقصود حجاجي وهو تنفير الناس وترهيبهم من الكفر والشرك بالله، وترغيبهم في الدخول إلى الإسلام.

ج- الكناية:

"الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"¹² ومن أمثلتها في سورة إبراهيم قول الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: 42]. يقول الطاهر بن عاشور (وَلَا تَحْسَبَنَّ) ظاهرها النهي، وهذا النهي كناية عن تأكيد ضد المنهي عنه في مقام من شأنه أن يثير للناس ظن وقوع المنهي عنه، لقوة الأسباب المؤدية إلى ذلك، لأن إهمالهم وتأخير عقابهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم، أي تحقق أن الله ليس بغافل، وهو كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذه، فهو كناية بمرتين لأن النهي عن الشيء يؤذن بأن المنهي عنه يتلبس به المخاطب، ونفي الغفلة عن الله لم يستعمل على صريح معناه، بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين، ومعنى (لَا يَزِيدُ الْيَاسْمِينَ) لا يستطيعون تحويله، وهو كناية عن هول ما يشاهدونه في هذا اليوم العصيب¹³ والبعد الحجاجي للكناية يكمن في توجيه المتلقي إلى البحث عن المعنى الضمني في الصورة البيانية وهو نفي الغفلة عن الله تعالى. والكناية في هذه الآية جاءت حجة قوية لأنها تقرر وعد الله سبحانه وتعالى، وتؤكد على انتقام الله من الكفار. كما وردت الكناية في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بُأُ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [إبراهيم: 9]. جاءت الكناية في قوله تعالى: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) فرد الأيدي في الأفواه وعض الأنامل كناية عن الغيظ والضجر عند حدوث ما لا تحبته النفس وتريده، وقيل المراد برد الأيدي في الأفواه في هذه الآية يدل على الضحك والاستهزاء، وقيل أنهم كذبوا بأفواههم وردوا قلوبهم¹⁴ ويقول ابن عاشور أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم لإخفاء الضحك الشديد من كلام الرسل، حتى لا تظهر دواخل أفواههم، وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسول¹⁵ والتعبير في هذه الآية كناية عن الغيظ والضيق والتهويل لما سمعوه من رسلهم، فلم يكتفوا برد أيديهم على أفواههم بل يمعنون في تأكيد تلك الحركة الحسية¹⁶ فالكناية فهذه الآية حجة قوية على إثبات موقف المكذبين بالرسول والأنبياء والاستهزاء بهم على سبيل التحدي والتكذيب، وتأكيد كفرهم بما جاء به الرسل.

د- المجاز العقلي:

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [إبراهيم: 3] يقول الزمخشري في قوله تعالى: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) وصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازي، والبعد في الحقيقة للضلال، لأنه هو الذي يبتعد عن الطريق، فوصف به فعله، فالضلال فيه بعد لأن الضلال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا¹⁷. فوصف الضلال بالبعيد مجاز عقلي لأن البعيد هم الضالون؛ أي ضلوا ضلالا بعدوا به عن الحق فاسند البعد إلى سببه¹⁸ فالمجاز العقلي في هذه الآية جاء لتقوية الحجة لأن الذي وصفهم الله تعالى بأقبح وأبشع الخصال، هم الذين يستحبون الدنيا عن

الآخرة، ويصدون عن سبيل الله بصرف الناس عند دين الله، ويريدونها أن تكون في حالة اعوجاج لموافقة أهوائهم، فهؤلاء في ضلال بعيد أبعدهم عن الحق والهدى، لأنهم ضلوا وأضلوا وحاربوا دين الله ورسوله.

هـ- المجاز المرسل:

قال الله تعالى: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} [إبراهيم: 44]. ومعنى الآية أنذر يا محمد جميع الكفار يوم يأتيهم العذاب فيجزع الظالمون ويقولون ربنا أرجعنا إلى الدنيا وأعطنا مهلة قليلة لتوحيدك وعبادتك وتنفع رسلك، وفي قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) مفعول به ثان للفعل أنذر، لأن الإنذار يقع في الدنيا ولا يقع في يوم القيامة، والمراد بالعذاب، عذاب الآخرة، وإتيان العذاب مستعمل في معنى وقوعه على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المحلية، حيث أطلق المحل (اليوم) وأريد الحال فيه من أهوال¹⁹ وجاء المجاز المرسل في الآية كحجة تؤكد على أن الكفار يطلبون تأخير الحساب والعذاب من أجل التخلص من العذاب الأليم، والرجوع إلى الدنيا والتأخير هنا مستعمل في الإعادة إلى الحياة الدنيا مجازا مرسلا ويقول الكفار حين يشاهدون العذاب يوم القيامة. ولهذا أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تخويف الناس من أهوال يوم القيامة، والاستعداد إلى هذا اليوم بالعمل الصالح والإيمان بالله قبل أن يحل بهم العذاب.

و- الاستفهام:

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: 24-25]. يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: "الكلام في هذه الآية فيه تشويق وإيقاظ للذهن ليتقرب ما يرد بعد هذا الكلام وجاء هذا التشويق بصيغة الزمن الماضي الدال عليها حرف (لَمْ) التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي والدال عليها فعل ضرب بصيغة الماضي لغاية التشويق ومعرفة هذا المثل وما مثل به، والاستفهام في (أَلَمْ تَرَ) استفهام إنكاري ينزل مخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، وقد يكون يفيد التعجب من عدم العلم مع توفر الدواعي على علمه، أو يكون مستعملا في التقرير، وهو كناية عن التحريض على العلم بذلك، والكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك، وقد استعيرت الكلمة الطيبة لحسن وقوعها في النفس، واستعيرت الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة على ضد صفات الأولى²⁰ والاستفهام في الآية (أَلَمْ تَرَ) فعل كلامي مباشر يتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا وهي الإنكار والتعجب والتقرير، وهذه الأفعال الإنجازية أدت إلى قوة حجاجية وهي تقرير وتثبيت الكلمة الطيبة وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) الثابتة في قلب المؤمن والتي بها يرفع عمل المؤمن إلى السماء، التي شبهها الله تعالى بالشجرة الطيبة النافعة وهي النخلة التي وصفها بأنها ثابتة وراسخة في الأرض، وفرعها مرتفع في السماء مما زادها حسنا وجمالا،

ووصف كلمة الشرك بالشجرة الخبيثة التي لا أصل لها، وليس لها فرع صاعد فكذلك الكافر لا حجة له، ولا خير فيه، والاستفهام في الآية كان حجة قاطعة لتقرير كلمة التوحيد والإيمان، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وتثبيت المؤمنين عليها، ودحض حجج المشركين. ولقد أدى الاستفهام في هذه الآية وظيفة وبعدا حجائيا بعدوله الخارج عن الحقيقة إلى غرض ضمني وهو التقرير، فالاستفهام حمل تقريراً للمتلقي ودعوتاً إلى التوحيد، ولهذا كانت للاستفهام قوة حجائية تكمن في إقناع المتلقي واستثباته وإقراره بكلمة التوحيد.

ز- الأمر:

قال الله تعالى: {قُلْ لِّعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [إبراهيم:31]. يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة المؤمنين بإقامة العبادة البدنية وهي الصلاة، والعبادة المالية المتمثلة في الصدقات والزكاة، وفعل الأمر (:قُلْ) للوجوب وهو رسالة يجب على النبي محمد عليه الصلاة والسلام تبليغها لأنه هو المعلم والمرشد والهادي لأمته، وقول القول محذوف دل عليه جواب الأمر في قوله {يُقِيمُوا} بمعنى أقيموا الصلاة وأنفقوا، وقد خصت الصلاة والنفقة بالذكر لأنها كانتا المفروضتين في مكة في ذلك الوقت، وذكر المؤمنون بأخص أوصافهم وأشرفها وهو الإيمان، ليتناسب ذلك مع ما خصهم بالإضافة إلى ضميره سبحانه وتعالى حيث قال: {قُلْ لِّعِبَادِي} وفي هذه الإضافة تشريف وتنويه بشأنهم، وإشارة إليهم بأنهم المقيمون المتبعون لأوامر الله تعالى وفي التعبير بالفعل المضارع يوحي بكمال مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم والامتثال لأوامره لأن المضارع دال على التجدد.²¹ ولجملة الأمر في الآية الكريمة قوة حجائية تأثيرية في توجيه المتلقي للمعنى الذي يقصده المتكلم من خلال تنفيذ المتلقي وهم المؤمنون لأوامر الله سبحانه وتعالى عن طريق رسوله عليه الصلاة والسلام بإقامة الصلاة بالمواظبة عليها في أوقاتها المحددة مع استيفاء أركانها وسننها، والأمر بالإتيان مما رزقهم الله وأن تكون نفقتهم في السر والعلن حسب ما تقتضيه آداب الإسلام.

ح- النهي:

قال الله تعالى: {وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم:42] فالنهي في الآية لكل من توهم غفلته سبحانه وتعالى وليس الخطاب للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، وفي الغفلة عن الله سبحانه وتعالى هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين، والمراد بالظلم في الآية الشرك بالله تعالى، والتعبير باسم الفاعل (الظَّالِمُونَ) للدلالة على إصرارهم على الشرك وثباتهم عليه، وفي قوله: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ} استئناف وقع تعليلاً للنهي في قوله: {وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا} أي: لا تحسبن الله غافلاً عن عقوبتهم إنما أمهلهم إلى يوم محول شديد العقاب، وإيقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر هو العذاب لتحويلهم وتفضيع حالهم من شدة هول العذاب²² ويكمن البعد الحجائي في هذه الآية في تغيير معتقدات المتلقي وتوجيه سلوكه للتأكيد على تأخير عقاب الظالمين المشركين الذي كذبوا الرسول عليه الصلاة والسلام في

دعوته، ليوم شديد العقاب ليس للرضا بأعمالهم وإنما هو وعيد لهم، وفي خطاب النبي تسليته للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولزيادة تثبيته على الحق والصبر، وتهويل ووعد للمشركين.

ط- النداء:

قال الله تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيَتَّقِيَكَ الصَّلَاةُ} [إبراهيم: 37] افتتحت الآية بالنداء لزيادة التضرع، وهذا النداء من إبراهيم عليه السلام حين أتى مع هاجر وابنها إسماعيل من الشام إلى مكة وهو مكان لا يصلح للزراعة، ونادى ربه متضرعا أن يجعلهم موحدين ومقيمين للصلاة لأنها من أفضل العبادات وطلب الله أن يرزقهم أنواع الثمرات ليشكروه على نعمه، فاستجاب الله دعاءه.²³ يتضمن النداء في الآية بعدا حجاجيا يتمثل في تضرع إبراهيم عليه السلام من ربه أن يرزقه الثمرات، ودعاه أن يكونوا موحدين ومقيمين للصلاة فأجاب الله دعاءه، هذا ما جعل للنداء غايات إقناعية وتأثيرية لأنه ساهم في تحقيق دعوة إبراهيم عليه السلام عندما نادى ربه داعيا أن يرزقه الثمرات والرزق، وأن يجعل ذريته من الموحدين المقيمين للصلاة فاستجاب الله له.

ي- الجملة الاعتراضية:

قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بُنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} جاءتهم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أُنُفُسَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ [إبراهيم: 09]. يقول الزمخشري وجملة (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) جملة مكوّنة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح، (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) اعتراض، ومعناها أنهم من كثرتهم لا يعلم عددهم إلا الله²⁴ ويقول ابن عاشور وجملة (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) معترضة بين (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وبين جملة (جاءتهم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) التي وقعت حالا من (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وهي كناية عن العدد والكثرة التي تستلزم انتفاء علم الناس بهم²⁵ والخطاب في الآية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر الله تعالى بأثم وأقوام كذبوا رسلهم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم، التي لا يحصي عددها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد جاءت رسلهم بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صدق دعوتهم ورسالتهم عن الله لإخراجهم من التيه والكفر إلى نور الإيمان بالله، إلا أنهم كذبوهم واستهزؤوا بهم وأشركوا وكفروا ولم يؤمنوا بالله. والجملة الاعتراضية في هذه الآية حجة على المشركين لأنهم جاءتهم الرسل بالبينات والحجج والبراهين الدالة على صدقهم، وقد بلغت أخبار الأمم وهلاكهم السابقة وما حل بالمكذبين مما لا يعلم عددهم إلا الله، إلا أنهم أنكروا على الرسل وكذبوهم. والبعد الحجاجي للجملة الاعتراضية يظهر في تأكيد وإثبات كثرة عددهم التي لا يمكن أن يحصيه بشر ولا يعلمه إلا الله. مُحَوِّفًا عباده بما أحله بالأمم السابقة المكذبة بما جاءت به الرسل والأنبياء السابقين، فعاقبهم الله بالعقاب العاجل. الذي شاهده الناس وسمعوه.

ك- التذليل:

قال الله تعالى: { وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَا وَمَا أَلَيْنَا } [إبراهيم: 12]. في الخطاب استدلال على صدق التوكل على الله لأنهم هداهم إلى طرق النجاة والخير، وفي قوله (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ) استفهام إنكاري لانتفاء توكلهم على الله، وقد جاء في صورة الإنكار بناء على ما هو معروف من استنكار الكفار إياهم في توكلهم على الله، فأتوا بإنكار التوكل على الله، وزادوا قومهم تأييسا من التأثير بالأذى فأقسموا على استمرار صبرهم من أذى قومهم، وفي جملة (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) يحتمل أن تكون من كلام الرسل فتكون تذييلا وتأكيذا لأن المؤمنين من جملة المتوكلين، ويحتمل أن تكون من كلام الله، فهي تذييل للقصة، وتأكيده على أن التوكل لا ينبغي إلا على الله²⁶ فالرسل أكدوا توكلهم على الله لأنه هداهم إلى وحدانية الله، وأرشدتهم إلى طريق النجاة والهداية، واعتصموا بالله، فصبروا على أذى أقوامهم لأن الصبر مفتاح الفرج، كما دعوا أقوامهم بالتوكل على الله. ويكمن البعد الحجاجي للتذليل بتقرير مضمون ما سبقه وتأكيده، والذي يفيد توكل الأنبياء على الله وحده.

ل- الطباق:

قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُنْذِرَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [إبراهيم: 4]. الطباق بين الكلمتين (فَيُضِلُّ / وَيَهْدِي) وهو طباق إيجاب، وفي قوله: (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) لأن الله لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن، ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن، والمراد بالهداية التوفيق واللفظ لأهل الإيمان، وبالضلال الخذلان لأهل الكفر²⁷ ويكمن البعد الحجاجي للطباق في التأكيد أن إرسال الأنبياء بلغة قومهم جاء لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد أدى الطباق وظيفة حجاجية من خلال توضيف كلمات متضادة دلاليا في صورة طباق الإيجاب (فَيُضِلُّ / وَيَهْدِي) مما جعله يساهم في تحقيق التأثير وشد انتباه المتلقي ليجعله يشعر بالتناقض الموجود بين الضلال والهداية، الذي يوحي بأن الضلال انحراف عن دين الله وعدم الإيمان به، وفي الهداية توفيق من الله إلى الإيمان بالله واتباع دينه.

م- المقابلة:

قال الله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: 07] المقابلة بين قوله تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ / وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ويكمن البعد الحجاجي في هذه المقابلة أنها أظهرت في صورة جليلة الفرق الشاسع بين جزاء الشاكر لنعم الله والجاحد لها، ومن علامات عقاب الكفر بنعم الله تعالى محققها وإزالتها، وتحويلها إلى نقمة يشقى بها صاحبها، ويتمنى الخلاص منها، وتصبح تلك النعمة مصدر لتعاسته وشقائه في الدنيا وفي الآخرة²⁸.

3-2- الآليات الحجائية اللغوية في سورة إبراهيم:

أ- الروابط الحجائية (Les Connecteurs): تربط بين قولين، أو بين حجتين، وتساعد لكل قول دورا محددًا داخل الإستراتيجية الحجائية العامة، ومن بين الروابط في اللغة العربية نجد: لكن، بل، حتى، إذن، لاسمًا، لان، بما أن، إذ.²⁹

❖ الرابط الحجائي (لكن):

قال الله تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمِثُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [إبراهيم:11] أجاب الرسل عن شبهة المشركين بحجة قاطعة وبينة ظاهرة تدل على صدق رسالتهم، وبعد محاجة الأنبياء القاطعة في الرد على شبهاتهم، أخذ المشركون يخوفونهم ويتوعدونهم بالانتقام منهم وإيذائهم قدر ما يستطيعون، فرد عليهم الأنبياء بأنهم لا يخافون وعيدهم وتهديدهم، لأنهم متوكلون على الله وحده وهو ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى في قوله: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) في دفع شر الأعداء وزاده توكيدا في قوله تعالى: (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا) [إبراهيم:12] فهو الذي هداهم سبل المعرفة، وأرشدهم إلى النجاة.³⁰ قالت لهم رسلهم مجازاة لأول مقاتلتهم (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كما تقولون وهذا القول بالإيجاب لأن فيه أطعًا في الموافقة ثم ردوا إلى جانبهم بالإبطال في قولهم عليهم السلام ولكن الله يمين على من يشاء من عباده، لأن الله اختص رسله بالرسالة بفضلها وامتنانه، والبشرية غير مانعة لمشيئته، فالله سبحانه وتعالى يمين على من يشاء من عباده بالفضائل والكمالات، ولا يخفى ما في العدول في قوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمِثُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) ما في هذا النظم الجليل من التواضع منهم عليهم السلام.³¹ فالرسل قد وافقوا المكذبين على أنهم بشر مثلهم، وهذه مماثلة في البشرية، ثم قدموا لهم الحجج وبينوا لهم جهلهم عن طريق الاستدراك لرد ما توهمه المكذبون لأن المماثلة في البشرية لا تمنع التفاضل بين عباد الله، وأن الله سبحانه وتعالى يمين ويفضل على من يشاء من عباده، وقد مَنَّ على بعض البشر بالنبوة والرسالة بإذنه تعالى. فالحجة الأولى سبقت إلى نتيجة المماثلة، أما الحجة الثانية سبقت لنتيجة مضادة للنتيجة التي سبقتها، لأن (لكن) من الروابط الحجائية التي تربط بين حجتين متعارضتين، وهي أن الله يمين على من يشاء من عباده وهي حجة أقوى حججيا بفضل الرابط الحجائي (لكن) الذي يجعل الملفوظ الذي يأتي بعده له قوة حجائية أكبر، وتوجيه الخطاب إلى نتيجة واحدة. وهي أننا بشر مثلكم إلا أن الله فضلنا عليكم بالرسالة والنبوة وبهذا كانت الحجة الثانية أقوى حججيا من الحجة الأولى بفضل العامل الحجائي (لكن) الذي كان له دور كبير في عملية التوجيه الحجائي، وتوجيه النتيجة لما بعد العامل الحجائي، بنفي الحجة التي تسبقه، وإثبات الحجة التي تأتي بعده.

❖ الرابط الحجاجي (الواو):

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [إبراهيم: 03] الكافرون يحبون الدنيا ويعملون لأجلها فيتركبون المواقف ويقتربون الآثام، ويؤثرون ذلك على أعمال الآخرة التي تقربهم إلى الله، ويصدون عن سبيل الله فيمنعون اتباع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من عند ربه، والبعد عن كل ما يقرب الله، ويبغونها عوجا فيطلبون لها الزيف والعوج، فهؤلاء القوم اختاروا لأنفسهم الدنيا والصد عن دين الله وحب الزيف وزين لهم الفساد فهم في ضلال بعيد³² لقد قام الرابط الحجاجي (الواو) بوصل الحجج ببعضها البعض، وترتيبها فجاءت الحجج متسقة ومنسجمة، وكل حجة تساند الحجة التي بعدها وتؤكددها وتزيد في قوتها الحجاجية وهذه الحجج جاءت مرتبة كما يلي: الحجة الأولى (الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) الحجة الثانية (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)، والحجة الثالثة (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا)، وهي حجج كانت لها سلمية الانتقال من الإجمال إلى التخصيص، وهذه الحجج الثلاثة تتساند في اتجاه حجاجي لتحقيق نتيجة واحدة وهي: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)، وبهذا ساهم العامل الحجاجي (الواو) في انسجام الخطاب، وتحديد الوجهة الحجاجية.

❖ الرابط الحجاجي (الفاء):

قال الله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّقُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى التَّارِ} [إبراهيم: 30] جعلوا لله أندادا وهي الأصنام واتخذوها آلهة من دون الله، كي يضلوا أنفسهم وغيرهم، عن طريق الحق المستقيم الذي هو توحيد الله تعالى، وقد استمروا في ضلالهم هذا، وفي قوله تعالى (قُلْ تَمَتَّقُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى التَّارِ) أمر من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيه وعيد وتهديد للمشركين بنار جهنم³³ حرف العطف (الفاء) في الآية يفيد التعليل، جاء كرابط حجاجي ليربط بين متغيرين حجاجيين بين قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّقُوا) وهي الحجة، وبين قوله تعالى: (قُلْ مَصِيرَكُمْ إِلَى التَّارِ) وهي النتيجة وهي تعليل للأمر بالتمتع، وفيه وعيد وتهديد للمشركين المكذبين بأن مرجعهم إلى عذاب جهنم.

ب- العوامل الحجاجية (Les Opérateurs): تقوم بتقيد وحصر الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، ومن أهم أدواتها في اللغة العربية مثل: ربما، كاد، كثيرا، قليلا، تقريبا، وجل أدوات القصر.

❖ العامل الحجاجي (إنما):

قال الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: 42]. الخطاب فيه تسلية للمؤمنين وتهديد للظالمين، وأن الله محيط بأعمالهم وسيعاقبهم، ووعدهم بيوم القيامة الذي يحاسبون فيه عن كل أعمالهم، بسبب إبداء المؤمنين وارتكاب المعاصي، لكن الله أمهلهم وأخر عنهم

العذاب، وأدر عليهم الأرزاق والأموال وتركهم يتقلبون فيها ومتعمهم بملذات الدنيا، وآخر عقابهم ليوم شديد الهول ترتفع فيه أبصار أهل الموقف وتبقى مفتوحة من شدة الفزع والخوف³⁴.

إن وظيفة العامل الحجاجي (إنما) تزيد في القوة الحجاجية للملفوظ الذي يأتي بعده، فالحجة التي جاءت بعد "إنما" في قوله تعالى (لَئِنَّمَا يُوَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) هي أقوى من الحجة التي سبقت أداة القصر "إنما"، وتكمن القيمة الحجاجية لأسلوب القصر بـ (لَئِنَّمَا) التي وظيفتها التوجيه الحجاجي وإقناع المتلقي وتوجيه الخطاب إلى المفهوم الذي يرومه المتكلم لإقناع متلقيه وتوجيهه إلى نتيجة محددة وبواسطة العامل الحجاجي (لَئِنَّمَا). وبالتالي خرج الملفوظ من الوظيفة الإبلاغية إلى الوظيفة الحجاجية. وتوجيه الخطاب إلى وجهة مقصودة، وحصر الإمكانات الحجاجية وإثبات ما جاء بعد (لَئِنَّمَا) وإبطال غيره من الحجج وقد حصر الخطاب في نتيجة واحدة وهي أن الله أخر عنهم العقاب وتركهم يتمتعون بالخيرات في الدنيا لكنه وعدهم بيوم شديد العقاب.

❖ العامل الحجاجي (لَئِنَّمَا):

قال الله تعالى: {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم:34] ومعنى الآية أن الله أتاكم جميع ما سألتموه وما احتجتم إليه وهذه النعم لا يمتكم عددها ولا يعلمها إلا الله إلا أن الإنسان لا يشكر الله على هذه النعم³⁵. في الآية جاء العامل الحجاجي (لَئِنَّمَا) كحجة على العباد العاجزين عن عد نعم الله وإحصائها والإحاطة بها للتنبيه على أن الله أتاهم الكثير من النعم كنعمة التنفس ونعمة الطعام والشراب، ونعمة الصحة إلا أنهم لم يشكروه، وبكثرة هذه النعم ازداد كفر الكافرين بها والإعراض عن عبادة الله تعالى وعبادة غيره، أما المؤمنون فإنهم يشكرون الله على نعمه، ولا يحدونها ويعبدونه وحده ولا يشركون به³⁶.

❖ العامل الحجاجي (ما... إلا):

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيَتَّبِعُنَا لَكُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم:04]. من لطف الله تعالى أنه أرسل الرسل بلغة أقوامهم ليبينوا لهم دين الله، ويفهموا خطابهم، فالعلة من بعث الرسل بلغة قومه هي التبيين وإيصال الرسالة لتلك الأقوام، وما على الرسول إلا التبليغ والتبيين، فإذا يتبين لهم قامت عليهم الحجة، ولم يكلف الله الرسل بالهداية لأن ذلك بيد الله، فهو العزيز الذي لا يغلب، والحكيم الذي يضع الأشياء على ما اقتضته حكمته وإرادته، فهو الذي انفرد بالهداية والإضلال³⁷.

ويستعمل العامل الحجاجي (ما... إلا) للنفي والاستثناء وله وظيفة حجاجية وليست وظيفة إخبارية لأن المتكلم يعني النتائج التي تظهر ثم يثبت الحجج بعد (إلا)، وفيه توجيه الخطاب إلى وجهة واحدة التي يعتقدونها المتكلم، ويريد تأكيدها وتنشيطها، وقد وظف العامل الحجاجي في هذه الآية في توجيه الخطاب إلى وجهة

محددة وحصر الإمكانيات الحجاجية في فكرة محددة ومقصودة وهي أن محمة الرسل تكمن في تبليغ الرسالة للناس فقط وبلغه أقوامهم، أما الهداية فذلك أمر يختص به الله وحده.

4- خاتمة:

حاولنا في هذا البحث الكشف عن الأبعاد الحجاجية في سورة إبراهيم فأفضى البحث إلى النتائج التالية:

من مقاصد سورة إبراهيم الحديث عن نعمة الإيمان ونعمة الكفر، والمقارنة بين أهل الحق، وبين أهل الباطل، وتوضح بأن نعمة الإيمان هي التي تخرج العباد من الظلمات إلى النور، وتحث على شكر نعم الله الذي يكون بطاعته والالتزام بشرعه، وفي المقابل تبين السورة أن الكفر نقمة، وتحذر منه، ويكون بسبب عدم شكر نعم الله تعالى، كما أن إنكار نعم الله لا يضر الله شيئا لأن الله غني عن شكر عباده، وهذا الكفر بنعم الله يؤدي بصاحبه إلى نار جهنم.

يعد الخطاب القرآني في سورة إبراهيم، خطابا حجاجيا يرمي إلى تغيير وضع قائم وإصلاح البشرية ودعوتهم إلى توحيد الله، وقد اشتملت سورة إبراهيم على آليات حجاجية متعددة و متنوعة منها ما هو بلاغي ومنها ما هو لغوي، والتي ساهمت بشكل جلي في إقناع المتلقي بنعمة الإيمان الذي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور والتحذير من نقمة الكفر، مما جعل منها خطابا حجاجيا إقناعيا.

سورة إبراهيم من السور المكية التي تؤكد على توحيد الله ودعوة الناس لعبادة الله وحده، والحث على شكر نعم الله للحفاظ على هذه النعم، والتحذير من الكفر وتبيين خطورته، وقد تضمنت العديد من الأساليب الحجاجية الإقناعية التي تهدف إلى إقناع الناس بدين الإسلام والرسالة النبوية وتعزيز القيم الدينية بوجود شكر نعم الله التي من أهمها نعمة الإيمان.

تنوعت الآليات الحجاجية البلاغية في سورة إبراهيم بين الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والاستفهام، والاعتراض، والتذليل، والطباق وتمثل هذه الآليات البلاغية وسيلة حجاجية إقناعية ناجعة، مما أكسبت السورة قوة حجاجية عالية لاستمالة المتلقي وإقناعه والتأثير فيه.

تنوعت الآليات الحجاجية اللغوية في سورة إبراهيم، فالروابط الحجاجية مثل: "الواو، لكن، الفاء" أدت أغراضا حجاجية من خلال الربط بين الحجج التي تخدم نتيجة محددة ضمن إستراتيجية حجاجية معينة. بينما أدت العوامل الحجاجية مثل: "إِثْمًا، إِنَّ، ما...إلا" إلى انسجام الخطاب و حصر الإمكانيات الحجاجية وتوجيه الخطاب إلى الوجهة المقصودة.

هوامش:

¹ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008، ص 107.

- ² المرجع نفسه، ص 108.
- ³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدية في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 20.
- ⁴ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، تونس، ط 1، 2011، ص 28.
- ⁵ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط 2007، ص 2، ص 42.
- ⁶ عادل صابر أحمد الرويني، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات العربية المتحدة، ط 2013، ص 1، ص 20.
- ⁷ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط 10، 2009، ج 13، ص 215.
- ⁸ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، ج 13، ص 180.
- ⁹ عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، ص 24.
- ¹⁰ عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 2000، ص 35.
- ¹¹ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 213.
- ¹² الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدع، مكتبة الهلال، بيروت، ط 1992، ص 2، ص 241.
- ¹³ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 247.
- ¹⁴ محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1996، ج 4، ص 134.
- ¹⁵ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 196.
- ¹⁶ عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، ص 95.
- ¹⁷ جار الله أبي القاسم (الزمخشري)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1998، ج 3، ص 361.
- ¹⁸ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 185.
- ¹⁹ عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، ص 229.
- ²⁰ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 225.
- ²¹ عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، ص 180.
- ²² المرجع نفسه، ص 222.
- ²³ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 242.
- ²⁴ جار الله أبي القاسم (الزمخشري)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1998، ج 3، ص 365.
- ²⁵ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 196.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 205.
- ²⁷ جار الله أبي القاسم (الزمخشري)، الكشف، ج 3، ص 363.
- ²⁸ عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، ص 86.
- ²⁹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

- ³⁰ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط1، 1946، ج13، ص167.
- ³¹ محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1994، ج7، ص188.
- ³² المرجع نفسه، ج7، ص128.
- ³³ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ج9، ص127.
- ³⁴ المرجع نفسه، ج7، ص162.
- ³⁵ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص382.
- ³⁶ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص237.
- ³⁷ أي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ج5، ص395.
- قائمة المصادر والمراجع:**

1. الأندلسي أي حيان، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ج5.
2. البغدادي محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1994، ج7.
3. بن عاشور الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984، ج13.
4. الدرويش محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1996، ج4.
5. الرازي فخر الدين، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ج9.
6. الرويني عادل صابر أحمد، تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2013.
7. الزمخشري جار الله أي القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، تحقيق: أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج3.
8. صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط2، 2007.
9. الطلبة محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008.
10. العزاوي أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006.
11. القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، مكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1992.
12. لاشين عبد الفتاح، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 2000.
13. المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط1، 1946، ج13.
14. الناجح عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، تونس، ط1، 2011.
15. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 2009، ج13.